الأقرع بن حابس التميمي

رضي اللّه عنه

فاتح الجوزجان

اللواء الركن محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد 57 –

ج4– ص 666 – 689

1403هـ - 1982م

الأقرع بن حابِس التَّمِيْمِيّ

فاتح الجُوْزَجان[1]

اللواء الركن محمود شيت خطاب

نسبه وأيامه الأولى

هو : الأقرع بن حابِس بن عقال بن محمّد بن سُفْيان بن مُجاشِع بن دارم[2] بن حَنْظَلَة بن مالك بن زَيْد مَناة بن تَمِيْم التَّمِيْمِيّ[3] المُجاشِعِيّ الدَّارِمِيّ .
وأُمّه : فطيمة بنت حوى بن سفيان بن مجاشع[4] .

واسم الأقرع : فِراس ، ولقّب : الأقرع بقرع كان برأسه[5] ، وكان أعرج فهو من ذوي العاهات[6] .

---

(١) الجوزجان : اسم للناحية ، وهي كورة واسعة من كور (بَلْخ) بخُرسان تقع بين (مرْو الروذ) و (بَلْخ) ، وفيها عدّة مدن ، منها مدينة (الجوزجان) التي أطلق اسمها على الكورة ، وبين مدينة (بلخ) ، والجوزجان تسعة عشر فرسخاً ، وهي ناحية كثيرة الخصب ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك (١٥٣) ومعجم البلدان (٣ / ١٦٧) وتقويم البلدان (٤٤٤ و٤٤٧) .

(٢) جمهرة أنساب العرب (٢٣٠) وطبقات خليفة بن خياط (١٧٨) .

(٣) الإستيعاب (١ / ١٠٣) وأسد الغابة (١ / ١٠٧) .

(٤) الاصابة (١ / ٥٨) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٢٤) ، وانظر طبقات خليفة بن خياط(١٧٨) حول أمّه .

(٥) أسد الغابة (١ / ١٠٩) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٢٤) والمعارف (٥٧٩) والبداية والنهاية (٧ / ١٤١) .

(٦) المعارف (٥٧٩) .

كان شريفاً في الجاهليّة[٧] رئيساً على قومه ، مجوسياً[٨] ، وكان حكماً في الجاهلية[٩] : يقضي بين الناس ، ويفصل بين المتخاصمين ، ويحكم بالعدل ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وقد مارس الأقرع في جاهليته الغزو لغرض السّلب والنهب ، إذ خرج وأخوه في بني مُجاشع من تميم وهما يريدان الغارة على بَكر بن وائل ، فلقيهم بِسْطَام بن قَيس الشَّيْبَانِي[١٠] وعِمْران بن مُرّة[١١] في بني وائل (بزُبالة)[١٢] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ظفرت فيه بَكْر وانهزمت تميم ، وأُسر الأقرع وأخوه وهما : الأقرعان ، وناس كثير . وافتدى الأقرعان نفسيهما من بسطام وعاهداه على إرسال الفداء ، فأطلقهما ، فَبعُدا ولم يرسلا شيئا[١٣] .

وهكذا كان الأقرع في الجاهلية مثالاً حيّاً لرئيس القبيلة العربي : انحراف في الدين ، وممارسة للغارات ، ومقارعة للأخصام ، ومنازلة للشجعان ، ومصاولة للأقران ، وغدر إذا سمحت الظروف .

وفي غياب العقيدة السليمة ، ذهبت مزايا الأقرع وأمثاله أدراج الرياح ، وطفت على الماء السيئات وبرزت وسادت ، كأنّ المزايا لا وجود لها ، ولا تأثير لها

---

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٢٤) والاستيعاب (١ / ٥٨) .

(٨) المعارف (٦٢١) والإصابة (١ / ٥٨) وابن الأثير (١ / ٥٨٧) .

(٩) سيرة ابن هشام (١ / ٨١) والإصابة (١ / ٥٨) والمحبّر (١٨٣) و (١٣٤) .

(١٠) هو بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني ، انظر تفاصيل نسبه في جمهرة انساب العرب (٣٢٦) .

(١١) هو عمران بن مرّة بن الحارث بن مرّة ، كان رئيساً ، انظر تفاصيل نسبه في جمهرة أنساب العرب (٣٢٥) .

(١٢) زبالة : قرية عامرة بطريق مكة من الكوفة بين واقصة والثعلبية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ / ٣٧٢) .

(١٣) ابن الأثير (١ / ٦٠١) .

في المجتمع الجاهلي إلاّ في حدود ضيّقة للغاية ، فالعقيدة السليمة هي التي تشيع الانسجام الفكري بين الأفراد والجماعات وتؤدي إلى التعاون المثمر والضبط والنظام .

ولكن كما كان الأقرع وأمثاله يعانونه من مثالب الجاهلية ، فقد كان يحقّ شخصية لامعة في محيطه ومجتمعه ، ولم يكن رجلاً مغموراً بلا غد ، بل سيّداً مطاعاً[١٤] ، وأحد الرؤساء[١٥] .

الصحابيّ

خرج رسول الله ﷺ من المدينة على رأس جيش المسلمين يريد فتح مكّة ، فلحقه الأقرع بـ (السُّقْيا)[١٦] ، وسار مع الجيش فشهد فتح مكّة وحُنَيْناً وحصار الطائف تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام[١٧] .

وانصرف النبيّ ﷺ من الطّائف إلى (الجعْرانة)[١٨] ، وأتاه هناك وفد هوازن مُسْلمِيْن راغبين ، فخيّرهم رسول الله ﷺ بين عيالهم وأبنائهم وبين أموالهم ، فاختاروا عيالهم وأبناءهم ، فأمر رسول الله ﷺ أن يُكلِّموا المسلمين في ذلك . وقال النبيّ ﷺ : « ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم » ، وقال المهاجرون والأنصار : أما ما كان لنا ، فهو لرسول الله ﷺ . وامتنع عُيَيْنة بن حِصن[١٩]

---

(١٤) البداية والنهاية (٧ / ١٤٢) .

(١٥) البداية والنهاية (٧ / ١٤١) .

(١٦) السُّقيا : قرية جامعة من عمل (الفُرْع) بينهما تسعة عشر ميلاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ / ٩٤) ، وهي قرية على طريق المدينة المنورة ـ مكّة المكرّمة ، وانظر الطبري (٣ /٥٢) حول التحاق الأقرع بالنبيّ ﷺ بالسّقيا ، وانظر ابن الأثير (٢ / ٢٤٢) أيضاً .

(١٧) الاستيعاب (١ / ١٠٣) وأسد الغابة (١ / ١٠٩) والإصابة (١ / ٥٨) .

(١٨) الجعرانة : هي ماء بين الطّائف ومكة وهي إلى مكة أقرب . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ١٠٩) .

(١٩) انظر سيرته في : أسد الغابة (٤ / ١٦٦ ـ ١٦٧) .

والأقرع عن أن يردّا عليهم ما وقع لهما من الفَيْء ، وساعدهما قومهما ، وامتنع العبّاس بن مِرْداس السُّلَمي[٢٠] ، فطمع أن يساعده قومه ، فأبوا وقالوا : بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فردّ على (هوازن) نساءهم وأبناءهم ، وعوّض مَنْ لم تَطِبْ نفسه بترك نصيبه أعواضاً رضوا بها ، وكان عدد سبي (هوازن) ستة آلاف إنسان[٢١] .

لقد كان احجام الأقرع وغيره عن ردّ السبي لهوازن بعد تنازل النبي ﷺ عن حصّته وحصّة ذوي قرباه ورغبته في أن يفعل المسلمون ما فعله ، دليلاً على أنّ نعرة الجاهلية كانت لاتزال هي السائدة على الأقرع وقومه الذين معه ، فلم يكن حينذاك منضبطاً ولا ملتزما .

ومن الأدلة على عدم انضباطه والتزامه حينذاك ، أنّ النبيّ ﷺ قَسَمَ الأموال بين المسلمين ، ثم أعطى نصيبه من الخمس المؤلّفة قلوبهم ومنهم الأقرع مائة بعير[٢٢] ، فتألّف المؤلفة قلوبهم بهذا العطاء ووكل المؤمنين حقاً إلى إيمانهم[٢٣] ، وكان الأقرع يومئذ من المؤلفة قلوبهم[٢٤] ، وهم جماعة من قادة العرب والأعراب ومن رؤسائهم لهم كلمة مسموعة وأثر في أتباعهم ، إذا أسلموا انقاد إليهم أتباعهم ، وإن أحجموا أحجم أتباعهم .

وقد أسلم الأقرع في شهر رمضان من سنة ثمان الهجرية (٦٢٩ م) ، سنة فتح مكّة ، وكان تقسيم الغنائم في شوال سنة ثمان الهجرية ، ويبدو أنّ مضيّ

---

(٢٠) انظر سيرته في : أسد الغابة (٣ / ١١٣ - ١١٤) .

(٢١) جوامع السيرة (٢٤٤ - ٢٤٥) وانظر سيرة ابن هشام (٤ / ١٣٥) والطبري (٣ / ٨٧) .

(٢٢) جوامع السيرة (٢٤٦) والبدء والتاريخ (٤ / ٢٣٨) وسيرة ابن هشام (٤ / ١٤٣) وعيون الأثر (٢ / ١٩٤) .

(٢٣) جوامع السيرة (٢٤٨) وسيرة ابن هشام (٤ / ١٤٤) .

(٢٤) الإصابة (١ / ٥٨) وتنظر أسماء المؤلفة قلوبهم في المعارف (٣٤٢) وانظر تاريخ ابن خياط (١ / ٥٣) .

شهرين على إسلام الأقرع وأمثاله لم يؤثر فيهما التأثير المطلوب ، فالتفاصيل في الإسلام بالتقوى وحدها لا بالنسب والحسب والنشب كما كان التفاضل في الجاهليّة .

وبمرور الوقت ، حسن إسلام الأقرع[٢٥] ، كما حسن إسلام المؤلفة قلوبهم من أمثاله .

وفي سنة تسع الهجرية (٦٣٠ م) ، قدم وفد بني تميم ومعهم الأقرع وعُيَيْنَة بن حِصْن الفزاري[٢٦] في وفد عظيم ، وكان الأقرع وعُيَيْنَة قد شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكّة وحُنَيْناً وحضرا الطّائف ، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم . ودخل وفد بني تميم المسجد ، فنادوا رسولَ الله ﷺ من وراء الحُجُرات : أنْ اخرج إلينا يا محمّد ! فآذى ذلك رسول الله ﷺ ، وخرج إليهم[٢٧] .

وفي رواية : أنّ الأقرع هو الذي نادى رسول الله ﷺ من وراء الحُجُرات . وقال أيضاً : « يا محمّد ! إنّ حمدي زَيْن ، وإنّ ذمي شَيْن » ، فقال رسول الله ﷺ : « ذلكم الله سبحانه »[٢٨] .

وخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فقالوا : نحن ناس من تميم ، جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك ! فقال النبي ﷺ : « ما بالشِّعر بُعِثْنا ، ولا بالفخار أُمرنا ، ولكن هاتوا ! »[٢٩] .

وقال الأقرع لشاب من تميم[٣٠] : « قم يا فلان ، فاذكر فضلك وفضل قومك[٣١] »

---

(٢٥) الإصابة (١ / ٥٨) .

(٢٦) انظر تفاصيل أسماء الوفد في : الطبري (٣ / ١١٥) وابن الأثير(k ٢٨٧) وابن خلدون (٢ / ٨٢٤ - ٨٢٥) .

(٢٧) الطبري (٣ / ١١٥) وابن الأثير (٢ / ٢٨٧) وسيرة ابن هشام (٤ / ٢٢٣ - ٢٢٤) .

(٢٨) أسد الغابة (١ / ١٠٧) والإصابة (١ / ٥٨) .

(٢٩) أسد الغابة (١ / ١٠٧) .

(٣٠) في الطبري (٣ / ١١٦) : ان اسمه عطارد بن حاجب بن زُراده بن عُدَس التميمي .

(٣١) أسد الغابة (١ / ١٠٧) .

وقام خطيب وفد بني تَميم ، فقال : « الحمد لله الذي له علينا الفَضْل وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ، ووهبَ لنا أموالاً عظاما نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عَدَداً ، وأيسره عُدَّةً ، فمَن مثلُنا في الناس ! ألسنا برؤوس الناس وأُلي فضلهم ! فمن يفاخرنا فليعدّد مثل ما عدّدنا ، وإنّا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعْرَف . أقول هذا لتأتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا » ، ثم جلس[٣٢] .

وقال النبيّ ﷺ لخطيبه ثابت بن قيس الخزرجيّ الأنصاري[٣٣] : « قُم فأجِبهُ » ، فقام ثابت وقال : « الحمد لله الذي السمواتَ والأرضَ خَلْقهُ ، قضى فيهنّ أمره ، وَوَسِع كُرْسيّه علمه ، ولم يكُ شيء قط إلاّ من فضله . ثمّ كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً ، أكرمهم نسباً ، وأصْدَقهم حديثاً ، وأفضلهم حَسَباً ، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خَلْقِه ، فكان خِيرَةَ الله في العالمين . ثمّ دعا الناس إلى الإيمان ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رَحِمِه ، أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعالاً . ثمّ كان أوّل الخلق إجابة - واستجاب لله حين دعا رسولِ الله ﷺ - نحن ، فنحن أنصار الله وَوُزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمَن آمنَ بالله ورسوله منع ماله ودَمَه ، ومَن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً . أقول قولي هذا ، واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، والسّلام عليكم »[٣٤] .

---

(٣٢) نص الخطاب من : الطبري (٣ / ١١٦) ، وانظر ماجاء في : أسد الغابة (١ / ١٠٦) ، وبين الخطابين اختلاف يسير .

(٣٣) انظر سيرته في : أسد الغابة (١ / ٢٢٩ - ٢٣٠) والإصابة (١ / ٢٠٣) .

(٣٤) نص الخطاب من : الطبري (٣ / ١١٦) ، وانظر ماجاء في : أسد الغابة (١ / ١٠٨) ، وبين الخطابين اختلاف يسير .

وقال بنو تميم : يا محمد ! ائذن لشاعرنا ، فقال : « نعم » ، فقام الزِّبْرِقانُ بن بَدْر[٣٥]
فقال :

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنا ... منّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ[٣٦]
وكم قَسَرْنا من الأحياءِ كلّهمُ ... عند النِّهابِ ، وفضْلُ العزِّ يُتَّبَعُ
ونحن نُطْعِمُ عند القَحْطِ مُطعِمُنا ... من الشِّواءِ إذا لم يُؤْنَسِ القَزَعُ[٣٧]
بما تَرَى الناسَ تأتينا سَراتُهمُ ... من كلِّ أرضٍ هُوِيّاً ثم نَصْطَنِعُ[٣٨]
فنَنْحَرُ الكُومَ عَبْطاً في أرومتِنا ... للنازلين إذا ما أُنزِلوا شَبِعوا[٣٩]
فلا تَرانا إلى حيٍّ نُفاخِرُهم ... إلاّ استَقادوا وكادَ الرأسُ يُقْتَطَعُ
إنا أبَيْنا ولن يأبى لنا أحدٌ ... إنّا كذلك عند الفخرِ نَرْتَفِعُ
فمن يُقادِرُنا في ذاك يعرفُنا ... فيرجِعُ القولُ والأخبارُ تُسْتَمَعُ

وكان حسّان بن ثابت الأنصاري شاعر النبيّ ﷺ غائباً ، فبعث إليه رسول الله ﷺ . قال حسّان : « فلما جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ، خرجت إلى رسول الله وأنا أقول :

مَنَعْنا رسولَ اللهِ إذْ حَلَّ وسْطَنا ... على كلِّ باغٍ من مَعَدٍّ وراغمِ
مَنَعْناهُ لَمّا حَلَّ بين بُيوتِنا ... بأسيافِنا من كلِّ عادٍ وظالمِ

---

(٣٥) انظر سيرته في : أسد الغابة (٢ / ١٩٤) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٩٣) ، وفي : أسد الغابة (١ / ١٠٨) الزبرقان قال لرجل منهم : « قم فقل أبياتاً تذكر فيها فضلك وفضل قومك » .

(٣٦) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدها بيعة .

(٣٧) القزع : السحاب الرقيق .

(٣٨) هوياً : سراعاً .

(٣٩) الكوم : جمع كوماء ، وهي العظيمة السنام من الإبل . وعبط : من غير علّة . أرومتنا : أي هذا الكرم متأصل فينا .




بِبَيْتٍ خَرِيدٍ عِزّه وثَراؤه بجابية الجَوْلان وَسْطَ الأعاجم[٤٠]
هل المَجْدُ إلاّ السُّؤْدَد العَوْدُ والنَّدى وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائم

قال حسّان : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وقام شاعر القوم فقال ماقال ، عرضتُ في قوله وقلت على نحوٍ مما قال » .

إنّ الذوائب من فِهْرٍ وإخْوتِهِمْ قد بيَّنوا سُنَّةً للنَّاس تُتَّبَعُ[٤١]
يَرْضى بها كلُّ مَن كانت سَرِيْرَتُهُ تَقْوى الإلهِ وكلُّ الخير يُصْطَنَعُ
قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عدوَّهمُ أو حاولوا النَّفْعَ في أشياعهم نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثَةٍ إنّ الخلائقَ فاعلمْ شَرُّها البِدَعُ
إنْ كان في النَّاس سبَّاقون بَعْدَهُمُ فكلُّ سَبْقٍ لأدنى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
لايَرْقَعُ النَّاسُ ماأَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ عند الدِّفاعِ ولا يُوْهُونَ مارَقَعُوا
إنْ سابقوا الناس يوماً فازَ سَبْقُهُمُ أو وازنوا أهلَ مَجْدٍ بالنَّدى مَتَعُوا[٤٢]
أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوحْيِ عِفَّتُهُمْ لايَطْبَعُونَ ولا يُرْدِيْهِمُ طَمَعُ[٤٣]
لايَبْخَلونَ على جارٍ بفَضْلِهِمُ ولا يَمَسُّهُمُ من مَطْمَعٍ طَبَعُ[٤٤]
إذا نَصَبْنا لِحَيٍّ لم نَدِبَّ لهم كما يَدِبُّ إلى الوَحْشِيَّةِ الذَّرَعِ[٤٥]
نَسْمو إذا الحربُ نالَتْنا مَخالِبُها إذا الزَّعانِفُ من أظفارِها خَشَعوا[٤٦]
لافَخْرَ إنْ هُمْ أصابوا من عدوِّهِمُ وإن أُصيبوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ[٤٧]

---

(٤٠) البيت الخريد : الفريد .

(٤١) الذوائب : السادة ، انظر ديوان حسّان (٢٤٨) .

(٤٢) متعوا : زادوا .

(٤٣) الطبع : الدنس . ولايطبعون : لايدنسون .

(٤٤) الطبع : الدّنس .

(٤٥) نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نسرها . والذرع : ولد البقرة الوحشيّة .

(٤٦) الزعانف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : تذللوا .

(٤٧) الخور : الضعفاء . والهلع : جمع هلوع ، وهم الجازعون .

كأنهم في الـوغى والمـوتُ مُكْتَنِـعٌ أُسـدٌ بِحَلْيَـة في أرْسـاغِهـا فَـدَعُ[٤٨]
خُـذْ منهمُ مـا أتـوا عفْـواً إذا غَضِبـوا ولا يكن همّـك الأمرُ الـذي مَنَعـوا[٤٩]
فـإنّ في حربهم ـ فـاتْرُك عـداوتَهم شَراً يَخـاضُ عليـه السُّمُ والسَّلَـعُ[٥٠]
أكْرِم بقـوم رسـولُ اللهِ شيْعَتُهم إذا تفرّقَتِ الأهـواءُ والشِّيَـعُ
أهـدى لهم مِـدْحتِي قَلْبٌ يُـوازِرُهُ فيما أَحَبَّ لسـانٌ حـائـكٌ صَنَـعُ[٥١]
فـإنهم أفْضَـلُ الأحيـاءِ كلّهم إن جدّ بالنّاس جِدُّ القَوْل أو شَمَعوا[٥٢]

فلما فرغ حسّان من قوله ، قال الأقرع : « إنّ هذا الرّجل لمؤتى له[٥٣] ! لخطيبُه أخطب من خطيبنا ، ولشاعرُه أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا »[٥٤] .

وفي رواية ، أنّ الأقرع قام فقال : « إني والله يا محمد ! لقد جئت لأمرٍ ما جاء له هؤلاء ! قد قلت شعراً ، فاسمعه » فقال : « هاتِ » ، فقال[٥٥] :

---

(٤٨) مكتنع : دان . وحلية : مأسدة باليمن . والأرساغ : جمع رسغ ، وهو موضع القيد من الرجل . فدع : اعوجاج الى ناحية .

(٤٩) عفواً : من غير مشقة .

(٥٠) يخاض : يخلط . والسلع : نبات مسموم .

(٥١) صنع : يحسن القول ويجيده .

(٥٢) شمعوا : هزلوا . وأصل الشمع : اللهو والطرب .

(٥٣) مؤتى له : موفق .

(٥٤) الطبري (٣ / ١١٧ ـ ١١٩) ، وانظر ماجاء في سيرة ابن هشام (٤ / ٢٢٢ ـ ٢٢٩) وابن الأثير (٢ / ٢٨٦ ـ ٢٨٩) أسد الغابة (١ / ١٠٧ ـ ١٠٨) مع اختلاف في السياق والشعر غير يسير . وماجاء في المتن نقلاً عن الطبري .

(٥٥) أسد الغابة (١ / ١٠٨) ، وفي سيرة ابن هشام (٤ / ٢٣٠) : أنّ الزبرقان بن بدر هو قائل هذا الشعر .





أتيْنَـاكَ كيما يَعْلَمُ النّـاسُ فضلنـا   إذا احتفلوا عند احتِضَـارِ المواسِمِ(٥٦)

بـأنـا فروع النّـاس في كلّ مـوطن   وأن ليس في أرض الحجازِ كَـدارمِ(٥٧)

وأنـا نـذودُ المُعْلَمِينَ إذا انتخـوا   ونضرب رأس الأصيـد المتفـاقِمِ(٥٨)

وإنّ لنـا المِرْبـاعَ من كلّ غـارةٍ   نُغيرُ بِنَجْـدٍ أو بـأرضِ الأعـاجمِ(٥٩)

وقام حسّان بن ثابت فأجابه قائلاً :

هـل المَجْـدُ إلاّ السـؤدد العَـوْدُ والنـدَى
وجـاهُ المـلـوكِ واحتمال العظـائمِ(٦٠)

نَصَرْنـا وآوَيْنـا النبيَّ محمـداً
على أنفِ راضٍ من مَعَـدٍّ وراغِمِ

بِحَيٍّ حَرِيْـدٍ أصلُـهُ وثَراؤُه
بجـابيـة الجَـوْلانِ وسـط الأعـاجِمِ(٦١)

نَصَرْنـاهُ لَمّـا حَـلّ وَسْـطَ ديـارِنـا
بـأسيـافنـا من كلّ بـاغٍ وظـالِمِ

جَعَلْنـا بَنِيْنـا دونـه وبنـاتِنـا   وطِبْنـا لـه نَفْسـاً بِفَيْءِ المغـانِمِ

---

(٥٦) المواسم : جمع موسم ، وهو المكان الذي يجتمع الناس فيه كلّ سنة ، مثل موسم الحج ، وموسم عكاظ .

(٥٧) دارم : من بني تميم .

(٥٨) المعلمين : الذين يعلمون أنفسهم بعلامة يعرفون بها ، ليطلع الناس على بلائهم في الحرب . انتخوا : تكبّروا وأعجبوا بأنفسهم . والأصيد : المتكبّر . والمتفاقم : المتعاظم .

(٥٩) المرباع : ربع الغنيمة .

(٦٠) العود : القديم ، والذي يتكرّر على الزمان . والندى : الكرم والعطاء . والعظائم : جمع عظيمة .

(٦١) حريد : منفرد لايختلط بغيره لعزّته . وجابية الجولان . موضع بالشّام ، وأصل الجابية : الحوض الكبير .





ونحن ضَرَبْنَا النَّاس حتى تتابعوا ... على دينه بالْمُرْهَفَاتِ الصَّوارِمِ[٦٢]

ونحن وَلَدْنَا من قُرَيشٍ عظيمَها ... ولدنا نبيَّ الخير من آل هاشمِ[٦٣]

بَنِيْ دارِمٍ لاتفخروا ، إنّ فخرَكُمْ ... يعود وبالاً عند ذكر المكارمِ

هَبِلْتُمْ علينا تفخرون وأنتمْ ... لنا خَوَلٌ مابين ظِئْرٍ وخادمِ[٦٤]

فإن كنتمُ جئتم لحقنِ دمائكمْ ... وأموالكم أن تُقْسَموا في المقاسِمِ

فلا تجعلوا لله نِدّاً وأسْلِموا ... ولا تَلْبَسوا زِيّاً كَزِيِّ الأعاجمِ

فلما فرغ حسّان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع : « إنّ هذا الرَّجل لمُؤتّى : لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا » فأسلم القوم ، وجوّزهم رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم ،[٦٥] وكان الأقرع هو الذي بادر بإعلان إسلامه ، فقال : « أشهد ألاّ إله إلاّ الله ، وأنك رسول الله » ، فقال رسول الله ﷺ : « لايضرّك ما كان قبل هذا »[٦٦] .

ولا شكّ في قدوم وفد بني تميم على النبيّ ﷺ في عام الوفود ، أي في سنة تسع الهجرية كما سبق ذكره ، وقد نزل في هذا الوفد قرآن هو قوله تعالى : (إنّ الذين يُنادونَكَ من وراء الحُجُرات أكثرهم لايعقلون)[٦٧] ، كما أنّ المصادر المعتمدة تجمع على قدومه ، كما تجمع على قدوم الأقرع مع الوفد .

---

(٦٢) المرهفات الصوارم : السيوف المحددة القاطعة .

(٦٣) ولدنا نبيَّ الخير : ذلك لأن أم عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ كانت من بني النجّار من الأنصار .

(٦٤) هبلتم : فقدتم . والظئر : التي ترضع ولد غيرها وهي تأخذ على ذلك أجراً . وأصله : الناقة التي تعطف على ولد غيرها . والخادم : يقال للذكر والأنثى .

(٦٥) سيرة ابن هشام (٤ / ٢٣٠ - ٢٣٢) ، وانظر أسد الغابة (١ / ١٠٨ - ١٠٩) مع اختلاف في عدد أبيات الشعر .

(٦٦) أسد الغابة (١/ ١٠٩) .

(٦٧) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٤) ، انظر سيرة ابن هشام (١ / ٢٣٣) والاستيعاب (١ / ١٠٣) وأسد الغابة (١ / ١٠٩) والطبري (٣ / ١٢٠) وابن الأثير (٢ / ٢٩٠) .




ولكن الشك في نصوص القصائد والخطب التي قيلت في أثناء اجتماع النبيّ ﷺ بالوفد ، فهناك اختلاف في كلمات الشّعر والخطب وفي قائليهما إذ تنسب قسم من المصادر المعتمدة الشعر إلى الزبرقان تارة وإلى الأقرع تارة وإلى قيس بن عاصم[٦٨] تارة أخرى .

ومن تدقيق ما قيل من الشعر والنثر ، يظهر أثر التنميق الذي يحتاج إلى الروية ولا يستقيم مع الارتجال ، فما قيل أشبه بالأعمال الأدبية المدبّرة لا بحوادث التاريخ التصادفيّة .

ويبدو أثر الأقرع في الوفد ، فهو الذي استحثه على القدوم ، وهو الذي حبّب إليه الإسلام ، وهو الذي بايع النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم قبل أعضاء الوفد ليقتدوا به ويقتفوا أثره ، فنجح في ريادته أعظم النجاح .

لقد كان الأقرع رئيساً من رؤساء قبائل الأعراب ، يحبّ هذا الفخر كما يحبه غيره من الرؤساء .

وكان النبيّ ﷺ يتألّفه بإكرام وفادته وقبول رجائه ، وبالهدايا والمال ، كما يتألّف أمثاله من المؤلفة قلوبهم .

فقد بعث النبيّ ﷺ عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزاري على رأس سرية إلى بني تميم فيما بين (السقْيا) وأرض بني تميم ، وذلك في المحرّم من سنة تسع الهجرية (٦٣٠ م) ، فأسر أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً ، فجاءه الأقرع مع قسم من رؤساء بني تميم ، ورجوه أن يطلق سراح الأسرى ، فردّ عليهم رسول الله ﷺ الأسرى والسّبي[٦٩] .

وأرسل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذُهَيْبة من اليمن ،

---

(٦٨) انظر سيرته في أسد الغابة (٤ / ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٦٩) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢ / ١٦٠ - ١٦١) ومغازي الواقدي (٣ / ٩٧٤ - ٩٧٥) .





فقسمها بين أربعة أحدهم الأقرع(٧٠)، وكانت سرية عليّ بن أبي طالب إلى اليمن سنة عشر الهجرية(٧١) (٦٣١ م) .

والتحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى ، بعد أن حظي الأقرع برعايته ، ونال شرف صحبته ، والجهاد تحت رايته .

المجاهد

شهد الأقرع تحت لواء الرسول القائد فتح مكّة وغزوة (حُنَيْن) وحصار الطائف ، كما ذكرنا .

وشهد تحت لواء خالد بن الوليد (اليمامة)(٧٢) وهي المعركة التي بين المسلمين من جهة بقيادة خالد بن الوليد وبين المرتدين من بني حَنِيْفَة بقيادة مسيلمة الكذّاب ، وذلك سنة إحدى عشرة الهجرية(٧٣) (٦٣٢) ، كما شهد مع خالد غيرها(٧٤) من حروب الردّة .

وسار مع خالد إلى العراق ، وشهد معه المشاهد كلّها ، وفي فتح (الأنبار)(٧٥) كان وعلى مقدمته الأقرع ، فلما بلغها خالد طوّق المدينة وأنشب القتال ، وكان قليل الصّبر عنه . وأمر خالد رماته أن يصوّبوا على عيون أعدائهم ، فرموا رشقاً واحداً ، ثم تابعوا فأصابوا ألف عين ، فسميت تلك الوقعة : (ذات العيون) ، وأخيراً استسلم الفُرْس فصالحهم خالد(٧٦) .

(٧٠) الإصابة (١ / ٥٨) .

(٧١) طبقات ابن سعد (٢ / ١٧٠) ومغازي الواقدي (٣ / ١٠٧٩) .

(٧٢) الإصابة (١ / ٥٩) .

(٧٣) انظر التفاصيل في ابن الأثير (٢ / ٣٦٠ - ٣٦٧) .

(٧٤) الإصابة (١ / ٥٩) وابن خلدون (٢ / ٨٧٥) .

(٧٥) الأنبار : مدينة على الفرات غربي بغداد ، بينهما عشرة فراسخ ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ٣٤٠) وهي مدينة الفلوجة .

(٧٦) أنظر التفاصيل في الطبري (٣ / ٣٧٣ - ٣٧٦) وابن الأثير (٢ / ٣٩٤ - ٣٩٥) وابن خلدون (٢ / ٨٩٤ - ٨٩٥) .

وسار خالد إلى (عَيْن التمر)[٧٧] وفيها قوّات فارسيّة وعربية تدافع عنها ، فاكتسحها خالد عَنْوَة[٧٨] .

وكان عِيَاض بن غَنْم الفهريَ القرشي[٧٩] قد سار إلى (دُوْمة الجَنْدَل)[٨٠] ليخضع أهلها المتمردين ، ثم يسير منها شرقاً إلى هدفه في فتح العراق بالتعاون مع خالد بن الوليد[٨١] .

ولكن عياضاً لم يستطع فتح (دُوْمَة الجَنْدَل) ، فكتب إلى خالد بعد أن عجز عن فتحها يستمده على مَنْ بإزائه من العدو ، وكان خالد قد فرغ حينذاك من فتح (عين التمر) ، فسار سيراً حثيثاً نحو عياض ، فلما وصل (دُوْمَة الجندل) وجد عياضاً قد حاصر أهلها وحاصروه ، وقد أخذوا عليه الطريق وأشجوه وشُجوا به ، فجعل خالد (دُوْمَة الجندل) بين عسكره وعسكر عياض .

وخرج أهلها لقتال المسلمين ، ولكنهم لم يلبثوا ان انهزموا إلى الحصن ، فلما امتلأ بالناس ، أغلق مَن فيه أبوابه دون أصحابهم وتركوهم عرضة للقتل والأسر .

وأطاف خالد بباب (الحصن) ، ثم أمر به فاقتلع . واقتحم المسلمون على مَن فيه وقتلوا المقاتلة كافة إلاّ أسرى بني كلب الذين أمّنهم بنو تميم وعلى رأسهم الأقرع[٨٢] بعد أن قتل أحد قادة (دومة الجندل)[٨٣] .

---

(٧٧) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة ، بقربها موضع يقال له (شفاثا) ، التفاصيل في : معجم البلدان (٦ / ٢٥٣) ، ولا تزال آثار الحصن باقية حتى اليوم ، ويسمى : قصر الأخيضر ، وقد اطلق عليه هذا الإسم بعد الإسلام ، بينما كان الحصن قبل الإسلام .

(٧٨) انظر التفاصيل في الطبرى (٣ / ٣٧٦ - ٣٧٧) وابن الأثير (٢ / ٣٩٤ - ٣٩٥) .

(٧٩) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٦٩ - ٤٧٩) .

(٨٠) دومة الجندل : حصن على سبع مراحل من دمشق ، تقع بين دمشق والمدينة المنوّرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ / ١٠٦) .

(٨١) ابن الأثير (٢ / ٣٨٤) .

(٨٢) الطبري (٣ / ٣٧٩) .

(٨٣) الطبري (٣ / ٣٧٨) .

وفي رواية : أنّ الأقرع كان مع شُرَحْبِيْل بن حَسَنَة(٨٤) في (دومة الجندل)(٨٥) ، ولم يكن شُرَحْبِيْل في (دومة الجندل) بعد حروب الردّة ، بل قصدها عياض بن غنم ، لذلك لاصحة لهذه الرواية .

وعاد خالد على رأس قوّات المسلمين بعد استعادة فتح (دومة الجندل) إلى العراق ، وكان معه الأقرع الذي شهد مع خالد معارك حرب العراق ، وكان ذلك سنة اثنتي عشرة الهجرية (٦٣٣ م) .

وفي سنة ثلاث عشرة الهجرية (٦٣٤ م) ، أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالداً بالمسير إلى الشام من العراق ، وأن يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المُثَنّى بن حارثة الشيباني(٨٦) ، ولا يأخذنّ مَنْ فيه نجدة إلاّ ويترك عند المُثَنّى مثله . ولكن خالداً استأثر أصحاب النبيّ ﷺ على المثنى ، وترك للمثنى عدادهم من أهل القناعة مَنْ ليس له صحبة ، ثمّ قسم الجند قسمين ، فقال المثنى : والله لا أُقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبي بكر ، وبالله ما أرجو النصر إلاّ بأصحاب النبيّ ﷺ ، فلما رأى خالد ذلك أرضاه(٨٧) .

وليس لدينا نص صريح يصرّح بأنّ خالداً أخذ معه الأقرع من العراق إلى الشّام ، ولكن هناك دلائل تدلّ بوضوح على أنّ الأقرع كان مع خالد في رحلته العسكرية من العراق إلى الشام ، فقد كان الأقرع موضع ثقة خالد ، يوليه المقدمات في حروبه كما رأينا في معركة فتح الأنبار ، ويحقن دماء بني كلب لرجاء الأقرع ، ويوليه قيادة المقدمة بعد عودته من (دومة الجندل) إلى العراق ثانية(٨٨) .

---

(٨٤) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الشّام ومصر (١١٣ - ١١٩) .

(٨٥) ابن خلدون (٢ / ٨٧٥) والإصابة (١ / ٥٩) .

(٨٦) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٧ - ٥٠) .

(٨٧) ابن الأثير (٢ / ٤٠٧) .

(٨٨) الطبري (٢ / ٣٨٠) .

كما أنّ الأقرع صحابيّ جليل يحبّ أن يستأثر به خالد ، وكان الأقرع مع خالد في حروب الردّة وفي معارك العراق ، وقد عرف كلّ واحد منهما مزايا صاحبه وأساليبه القتالية نتيجة لرفقة السّلاح أمداً طويلا .

فمن المتوقع أن يستأثر به خالد ، وأن يَقر الأقرع هذا الاستئثار طائعاً مختارا .

ولعلّ مما يؤيّد هذا التوقُّع ما ورد في بعض المصادر المعتمدة ، أنّ الأقرع استشهد في معركة (اليرموك)[٨٩] الحاسمة ، تلك المعركة التي فتحت أبواب أرض الشّام على مصراعيها للفاتحين المسلمين ، ومعنى ذلك أنّ الأقرع شهد تلك المعركة ، فأخطأ مَن ذكر استشهاده فيها أوعدّه بين شهدائها ، ولكنه لو لم يشهد تلك المعركة لما جاء ذكره بين أسماء الشهداء .

وعاد أهل العراق الذين شهدوا معركة (اليرموك) في أرض الشام إلى العراق ، فوصلوا في اليوم الثاني من أيام معركة (القادسيّة) المشهورة ، أي يوم (أغْواث) ، فشهدوا هذه المعركة الحاسمة التي كانت بقيادة سعد بن أبي وقاص[٩٠] ، وأبلوا فيها أعظم البلاء[٩١] ، وكان ذلك سنة أربع عشرة الهجرية (٦٣٥ م) .

ولم يرد للأقرع ذكر في (القادسيّة) ، فما كلّ مَن شهدها ورد ذكره .

وسكت المؤرخون عن أخبار الأقرع وبخاصة جهاده ، ولكنّ قوم الأقرع بني تميم كان لهم جهاد مشهود في أرض فارس ، بقيادة الأحنف بن قيس التّميمي[٩٢] وغيره من بني تميم ، فليس من المعقول أن يبقى الأقرع بعيداً عن ميدان الجهاد .

---

(٨٩) الإصابة (١ / ٥٩) ، فقد ورد فيه : « وقرأت بخط الرضى الشاطبيّ : قُتِل الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بنيه » .

(٩٠) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٤٨ - ٢٩٦) .

(٩١) الطبري (٣ / ٥٤٣) وابن الأثير (٢ / ٤٧٣) .

(٩٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢١٥ - ٢٤٦) .

وفجأة برز اسم الأقرع قائداً فاتحاً ، فقد عاد الأحنف بن قيس التّميمي إلى مدينة (مَرْو الرُّوذ) ، بعد أن انتصر على أعدائه انتصاراً ساحقاً ، فلحق قسم من أعدائه بـ (الجُوْزَجان) ، فوجّه إليهم الأحنفُ الأقرعَ على خيل وقال : « يابني تميم ! تحابّوا وتباذلوا تَعْدِلْ أموركم ، وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلُّوا يسلم لكم جهادكم »[٩٣] .

وسار الأحنف ، فلقي العدو بالجُوْزَجان ، فكانت بالمسلمين جولة ، ثمّ عادوا وفتحوا الجوزجان عَنْوَة[٩٤] ، فقال كُثَيِّر النهشليّ :

سَقَى مُزْنَ السَّحابِ إذا اسْتَهَلّتْ
مصارعَ فِتْيَةٍ بالجُوْزَجانِ
إلى القصْرين من رُسْتاق خُوْطٍ[٩٥]
أقادَهُمُ هناك الأقرعانِ[٩٦]

وكان فتح الجوزجان سنة إحدى وثلاثين الهجرية[٩٧] (٦٥١ م) ، أو سنة اثنتين وثلاثين الهجرية[٩٨] (٦٥٢ م) .

ويبدو أنّ الجوزجان انتقضت ، فسيّره عبد الله بن عامر[٩٩] على رأس جيش إلى الجوزجان ، فأصيب بالجوزجان هو والجيش[١٠٠] وذلك في زمن عثمان بن عفّان

---

(٩٣) لاتغلوا : لاتخونوا في المغنم وغيره .

(٩٤) ابن الأثير (٣ / ١٢٦) وابن خلدون (٢ / ١٠١٣) والبلاذري (٥٧٣) .

(٩٥) خوط : قرية من قرى بلخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٤٩٠) .

(٩٦) الطبري (٤ / ٣١٣) .

(٩٧) ورد ذلك في حوادث إحدى وثلاثين الهجرية في ابن الأثير (٣ / ١١٧ - ١٣٠) وانظر البداية والنهاية (٧ / ١٦٠) .

(٩٨) ورد ذلك في حوادث اثنتين وثلاثين الهجرية في الطبري (٤ / ٣٠٤ - ٣١٦) .

(٩٩) انظر سيرته المفصلة في هذا الكتاب .

(١٠٠) أسد الغابة (١ / ١٠٩ - ١١٠) .

رضي الله عنه[١٠١] . وقد استشهد عثمان سنة خمس وثلاثين الهجرية[١٠٢] (٦٥٥ م) ، ومعنى ذلك أنّ استشهاد الأقرع كان سنة ثلاث وثلاثين الهجرية أو أربع وثلاثين الهجرية أو خمس وثلاثين الهجرية ، فانتهت باستشهاده صفحة من صفحات البطولة العربية الإسلاميّة .

الإنسان

كان الأقرع في الجاهلية رئيس دارم من بني تميم ، وكان من رؤساء بني تميم ومن المقدّمين فيهم ، وبقي على منزلته في الرئاسة والشرف في الإسلام ، فكان شريفاً في الجاهلية والإسلام[١٠٣] .

وكان في الجاهلية مجوسياً ، وكان بنو تميم قضاة موسم الحج وعكاظ ، وقد اجتمع للأقرع قضاء الموسم وعكاظ ، وكان آخر القضاة في الجاهلية ثم أدرك الإسلام[١٠٤] .

وتوليه منصب القضاء في الموسم وفي عكاظ دليل على رئاسته وشرفه ، كما أنّ إعطاءه مائة من الإبل مع المؤلفة قلوبهم[١٠٥] دليل آخر على منزلته العالية في الجاهلية والإسلام .

وقد أسلم وحسن إسلامه[١٠٦] ، ووفد على النبيّ ﷺ مع وفد تميم عام الوفود ، ونال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام ، ولم يرتد[١٠٧] بعد أن التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى .

---

(١٠١) الإصابة (١ / ٥٩) .

(١٠٢) الطبري (٤ / ٤١٥) والبداية والنهاية (٧ / ١٩٠) .

(١٠٣) أسد الغابة (١ / ١٠٩) والإصابة (١ / ٥٨) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٢٤) .

(١٠٤) المحبّر (١٨٢ - ١٨٣) .

(١٠٥) الشعر والشعراء (٢١٨و ٦٣٤) .

(١٠٦) الإصابة (١ / ٥٨) .

(١٠٧) البداية والنهاية (٧ / ١٤٢) .

وكان في زيارة النبيّ ﷺ في يوم من الأيام ، فأبصر النبي ﷺ يُقبِّل الحسن[١٠٨] وفي رواية أو الحسين ، فقال الأقرع : « إنّ لي من الولد عشرة ، ما قبّلتُ واحداً منهم » ، فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ لا يرحم لا يُرْحم[١٠٩] » ، وفي رواية أنّ النبيّ ﷺ قال للأقرع : « ما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك ![١١٠] » .

وقسوته البالغة دليل على بداوته المتطرّفة ، فهو مثال للأعرابيّ في شدّته وتطرفه اللّتين جعلتا قلبه يجف من الشفقة والحنان .

وحين ارتدّ الناس في أول عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وفد الأقرع إلى أبي بكر الصدّيق ومعه الزِّبْرِقان بن بَدْر التّميميّ وقالا له : « اجعل لنا خراج (البحرين) ونضمن لك ألاّ يرجع من قومنا أحدٌ » ففعل وكتب الكتاب ، وكان الذي يختلف بينهم طَلْحة بن عبيد الله رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأشهدوا شهوداً على ما جاء في الكتاب أحدهم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . وحُمِل الكتاب إلى عمر ليشهد ، فنظر فيه ولم يشهد قائلاً : « لا والله ولا كَرامة ! » ، ثم مزّق الكتاب ومحاه . وغضب طلحة ، فأتى أبا بكر وقال : « أأنت الأمير أم عمر ؟ ! » ، فقال : « عمر ! غير أنّ الطّاعة لي » ، فسكت طلحة[١١١] .

وقد استقطع عُيَيْنَة بن حِصْن والأقرع أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه أرضاً ، فقال لهما عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : « إنما كان النبيّ ﷺ يتألفكما على الإسلام ، فأما الآن فاجهدا جهدكما[١١٢] » . ذلك لأنّ الإسلام أصبح قوياً وأصبح المسلمون كثيرين ، فلم تبق حاجة لدفع الأموال للمؤلفة قلوبهم .

---

(١٠٨) الحسن بن عليّ بن طالب رضي الله عنه .

(١٠٩) أسد الغابة (١ / ١٠٩) والإصابة (١ / ٥٨) .

(١١٠) البداية والنهاية (٧ / ١٤١) .

(١١١) الطبري (٣ / ٢٧٥) .

(١١٢) الإصابة (١ / ٥٩) .

وكان بليغاً في حديثه ، فقد أخذ عُيَيْنَة بن حِصْن عجوزاً من سبي هوازن في غزوة (حُنَيْن) وقال حين أخذها : « أرى عجوزاً وأرى لها في الحي نسباً ، وعسى أن يعظُمَ فداؤها » ، فلما ردّ رسول الله ﷺ السبايا لستّ فرائض(١١٣) ، أبى عُيَيْنَة أن يرد عجوزه ، فقال له زُهير أبو صُرَد(١١٤) : « خُذْها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثَديُها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا درّها بماكد(١١٥) ، ولا زوجها بواجد(١١٦) » ، فردّها عُيَيْنَة بست فرائض حين قال له زهير ما قال . ولقي عُيَيْنَةُ الأقرعَ ، فشكا له ذلك ، فقال الأقرع : « والله إنك ما أخذتها بكراً غريرة(١١٧) ، ولا نَصَفاً وثِيْرة(١١٨) » ، وقد كان شاعراً ، وذكرنا شيئاً من شعره سابقا .

لقد كان الأقرع من خير مسلمي رؤساء وشيوخ وسادة الأعراب ، شجاعاً مقداماً ، شهماً غيوراً ، كريماً سخياً ، يحب هذا الفخر ويهواه ، ويحب هذا المال ويريده ، يدافع عن رجاله ويحرص على حقوقهم ، فلا عجب أن يفخر الشاعر الفرزدق بعمه الأقرع ، فيقول :

وعند رسول الله قام ابن حابسٍ ... بخطّة أسوار إلى المجد حازم
له أطلق الأسرى التي في قيودها ... مُغلّلة أعناقها في الشكائم(١١٩)

وكانت هُنَيْدَة بنت صَعْصَعَة عمّة الفَرَزدق تقول : « مَن جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتي ، يَحِلُّ لها أن تَضَعَ خِمَارَها عندهم ، فصِرْمَتي(١٢٠) لها : أبي

(١١٣) الفرائض : جمع فريضة ، والفريضة : المُسِنّة من الإبل .

(١١٤) انظر سيرته في : أسد الغابة (٢ / ٢٠٨) .

(١١٥) الماكد : الغزير .

(١١٦) واجد : حزين .

(١١٧) غريره : الصغيرة السنّ من النساء .

(١١٨) الطبرى (٣ / ٨٨) ، والوثيرة : السمينة .

(١١٩) الإصابة (١ / ٥٨) .

(١٢٠) الصرمة : القطعة من الإبل مابين العشرين إلى الثلاثين ، وقيل غير ذلك .





صَعْصَعَة ، وأخي غالب ، وخالي الأقرع بن حابس ، وزوجي الزِّبْرِقان بن بَدْر » ، فسمِّيَت : ذاتَ الخِمار[١٢١] .

ولا أحد يعرف متى ولد الأقرع ، فقد ولد في الجاهلية ، وولد أمثاله كثيرون وماتوا دون أن يعرف بسنة قدومهم ولا سنة رحيلهم شيئاً ، فلم يكن لهم في جاهليتهم وزن ولا قيمة ، فلما أسلم منهم من بقي على قيد الحياة ، أصبح لهم بالإسلام وزن وقيمة في مجالات الحياة الجديدة : عسكرية في الفتح والجهاد ، ومدنية في العلم والإدارة ، فَعُرِف موت الأقرع في ساحات الوغى شهيداً سنة ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين أو خمس وثلاثين الهجرية .

لقد أكرمه الله بالشهادة ، فنال درجة الشهداء الأبرار ، وبقي اسمه في التاريخ وسيبقى مابقي التاريخ .

ومن حقّ أهل بيته وغير أهل بيته أن يفخروا به رجلا ، لأنه تمسّك بأهداب الشّرف في الجاهلية والإسلام ولم يتهاون بما يتطلّبه الشرف من التمسّك بأهدابه من تكاليف جسام ، فنال ثناء الناس حياً وميتاً ، ونال ثواب الآخرة باستحقاق .

لقد كان الأقرع رجلاً . . . . وكفى . .

القائد

لايستطيع المتتبّع لجهاد الأقرع أن يتبيّن سماته القيادية إلاّ في نطاق ضيّق محدود ، لأنّ المؤرخين والذين تطرّقوا إلى نواحٍ معينة من حياته ، لم يسلّطوا الاضواء الكافية على حياته قائداً وإنساناً .

وقد كان الأقرع رئيساً من رؤساء بني تميم ، وهي من القبائل العربيّة الكثيرة ذات التاريخ العريق في المجال العسكري قبل الإسلام وبعده ، وكانت القبائل تقاتل بقيادة رئيسها في الجاهليّة وفي أيام الإسلام ، فلا بدّ من أنّ الأقرع

---

(١٢١) العقد الفريد (٢ / ١٦٦) .



مارس القيادة العملية في ميادين القتال أيام الجاهلية ، وفي ميادين الجهاد أيام الإسلام ، ولكنّ الذين كتبوا عنه أهملوا تفاصيل المعارك التي خاضها وأثره القياديّ فيها وتأثيره في نتائج القتال ، ولم يذكروا له غير موقعين قياديين : الأول قيادة المقدّمة لجيش خالد بن الوليد في فتح (الأنبار) ، والثاني مطاردة فلول القوّات الفارسيّة إلى (الجوزجان) وفتح هذه المنطقة الواسعة الغنيّة ، تلك القوّات التي كبدّها الأحنف بن قيس التيمي خسائر فادحة بالأرواح والمواد ، فتركت ميدان المعركة وانسحبت إلى (الجوزجان) .

وقد يغمز في قناة الأحنف بسبب تولية الأقرع منصباً قيادياً ، لأنّ الأحنف من بني تميم والأقرع من بني تميم أيضاً ، ولكن هذا الغمز لا يصدر إلاّ من أعداء العرب والمسلمين أو من الذين ينقلون إلى العربية ما يكتبه أولئك الأعداء بدون تدقيق ولا تمحيص ، ولا يصدر عن مُنْصِف يعتمد الحق ولا يحيد عنه . أما العسكريون المختصون فلا يقعون في مثل هذا الخطأ ، لأنهم يعلمون علم اليقين أنّ القريب قد يُؤْثر قريبه بالمناصب المدنية المريحة في أيام السلام ، وقد يؤثره بالمناصب العسكرية في أيام السّلام أيضاً ، ولكنه لايؤثره بالمناصب العسكرية في أيام الحرب ، لخطورة هذه المناصب على الذي يتولى القيادة ، لأنه قد يقتل أو يصاب بأذى ، وعلى الذي ولاّه القيادة ، لأنّ إخفاق مَن ولاّه يؤثر في سمعته ومصيره ، وعلى الجيش الذي يقوده ، لأنه يقوده إلى الهزيمة ويكبّده خسائر مادية ومعنوية . لذلك ليس هناك مسئول يولي منصب القيادة في أيام الحرب مَن لا يستحقه من ذوي قرباه .

فإذا غمز الأحنف في هذا المجال من الأعداء والمغرّر بهم والجهلاء ، فإنّ خالداً لايمكن غمزه ، لأنه من بني مخزوم والأقرع من بني تميم ، ولأن خالداً لايولي غير أصحاب الكفايات العالية والماضي الجيد .

إنّ الأقرع تولىّ القيادة لكفايته العالية ، مافي ذلك أدنى شك ، فليس كلّ



قائد يستطيع العمل بإمرة خالد بن الوليد ، ولا كلّ قائد يقدر على العمل بإمرته ، ولا يولي خالد كلّ مَن هبّ ودب منصباً قيادياً .

ومن المعلوم أنّ واجبات المقدّمة هي : الحصول على المعلومات المفصّلة عن العدو ، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات المفصّلة عن قواتنا ، وحماية قواتنا في تقدمها وفي معسكرها ، وإدخال الجيش في المعركة بأمان .

وهذه الواجبات المعلومة ، بحاجة إلى قائد ماهر ، يتميز بالذكاء ، والشجاعة والاقدام ، وحضور البديهة ، وبمعرفة مبادئ الحرب ، وبالاندفاع ، وسرعة الحركة ، والقابلية على تحمل أعباء القتال ، وبإتقان الفروسية إتقاناً متفوقاً ، وبتحمل المسئولية كاملة بلا تردّد .

هذا بالإضافة إلى قوّة الشخصية ، والإرادة القوية ، والقابلية على إصدار القرارات السريعة السليمة ، وتبادل الثقة بينه وبين رجاله ، وتبادل المحبة ، والماضي القياديّ النّاصع المجيد .

أما واجبات قوّات المطاردة ، فتحتاج إلى قائد قدير على قلب الانسحاب إلى هزيمة ، وتحطيم قوّة العدو مادياً ومعنوياً لإجباره على الاستسلام والرضوخ إلى شروط المنتصر ، وإلى قائد يتميز بحبّ المغامرة والاندفاع بسرعة فائقة عمقاً ، بالإضافة إلى صفات القائد الأخرى بصورة عامة وإلى قائد المقدّمة بصورة خاصة .

ونستطيع أن نستنتج أنّ الأقرع كان قائداً قديراً على إصدار القرارات الصّائبة السريعة ، قادراً على وضعها في حيّز التنفيذ ، ذكياً ألمعيّ الذكاء ، شجاعاً مقداماً جسوراً ، حاضر البديهة ، عارفاً بمبادئ الحرب ، مندفعاً سريع الحركة ، مغامراً من غير تهوّر ، يثق برجاله ويثقون به ويحبّهم ويحبّونه ، له قابلية بدنية متميزة ، فارساً لامعاً ، قوي الشخصية ، صلب الإرادة ، له ماض ناصع مجيد .

وهو فوق ذلك يتحمل المسئولية كما يتحمّلها الرجال .

وأخيراً ، توّج الأقرع حياته بالشهادة ، فسقط مضرّجاً بدمائه ، ولم يسقط من يمينه السّيف .

الأقرع في التاريخ

يذكر التاريخ للأقرع أنه كان رئيساً من رؤساء بني تميم البارزين في الجاهليّة والإسلام .

ويذكر له ، أنه كان قاضياً يقضي بين الناس في مواسم الحج وعكاظ في الجاهلية ليس بين تميم حسب ، بل للحجيج جميعاً وللوافدين على عكاظ .

ويذكر له ، أنه كان من أوائل مَن أسلم من رؤساء بني تميم ، فنال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ .

ويذكر له ، أنه كان من أبرز المؤلّفة قلوبهم ومن بين الطبقة الأولى منهم ، وكان لأثره الحاسم في بني تميم إقبالهم على الإسلام ودخولهم في دين الله أفواجا .

ويذكر له ، أنه أسلم وحسن إسلامه ، فلم يرتد كما فعل كثير من رؤساء القبائل الأخرى ، وقاتل المرتدين قتالاً لا هوادة فيه .

ويذكر له ، أنه وهب نفسه للجهاد في حروب الردّة وفتح العراق والشّام وفارس وخُراسان ، فشرّق بجهاده وغرّب ، ورفع رايات الإسلام خفاقة عالية شرقاً وغرباً .

ويذكر له ، أنه فتح (الجوزجان) ونشر العربية لغة والإسلام ديناً في أرجائها الواسعة الفسيحة .

ويذكر له ، أنه نال شرف الشهادة ، فضحّى بروحه من أجل عقيدته ، ولم يضح بعقيدته من أجل روحه .

ويذكر له ، أنه كان مثالاً حيّاً لرؤساء قبائل الأعراب في الجاهلية والإسلام بما فيهم من مزايا وهنات .

رضي الله عن الفارس المغوار ، القائد الفاتح ، الشهيد البطل ، الأقرع بن حابس التّميميّ .

الجزء الرابع المجلد السابع والخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



المحرم ١٤٠٣ هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٢ م

فهرس الجزء الرابع للمجلد السابع والخمسين

التعريف والنقد